القصيدة التوبيخية
للشاعر السيد محمد الحائريΣ (كان حيّاً سنة ١١٧٤هـ)
شرح وتعليق
أبو القاسم القميP(صاحب القوانين) (ت١٢٣١هـ)

تحقيق
د. كريم جهاد الحسّاني
جامعة بغداد ـ كلية العلوم الاسلامية

مقدمة المحقق:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين...

وبعد:

تزخرُ المكتبة الأدبية العربية عموماً، والعراقية خصوصاً بالعديد من النتاجات الشعرية، فالأدب بكل فنونه، والشعر خصوصاً، من أهم سمات هذا البلد العزيز بكل جنباته ومعالمه عبارة عن سوقٍ أدبي كبير، ومدرسة تُغذّي العالم الإسلامي أجمع بفنون العلم.

فإذا طوى الدهر على مجموعة من الشعراء وأصبحوا من المنسيّين، فإنَّ المحقق اللبيب لن ينسى أبناءه؛ لذلك فقد كانت الهمّة عالية في إظهار النتاج الشعري لهذا البلد المعطاء، إذ جادت قريحة شعراءه من القصائد الرقيقة ذات الذوق الرفيع وسموّها الفكري والتي ملائتها أناملهم بالحب والولاء والحزن، فطرقوا بذلك أبواب الشعر بأجمعه.

ولقد كان لقضية الامام الحسينa وأحداث يوم الطف بكربلاء قصب السَّبق في إبراز قريحة الشعراء في نظم ملايين القصائد الشعرية على مر العصور؛ لذا قادني هذا العشق الأدبي إلى اصطياد هذه القصيدة التي بين يديك عزيزي القارئ من ذلك التراث المخطوط، ومن تلك الخزانات التي حفظتها يد القدرة، وتأتي أهميتها من كونها لم تُنشر سابقاً في أي موسوعة من الموسوعات الشعرية الخاصة والمدونة في حق الامام الحسينa وقضية عاشوراء وما جرى عليه من الأحداث، وغرابة نظم الشاعر لها من خلال العتاب الواضح والخاص لنهر الفرات.

عنوان القصيدة:

أطلق المؤرخ الشيخ أغابزرك الطهرانيΣصاحب الذريعة على القصيدة التي بين أيدينا، وفَهرَسَها تحت عنوان: (القصيدة التوبيخية)؛ لما لها من المضامين العالية في توبيخ الشاعر لنهر الفرات الذي استشهد الامام الحسينa الى جانبه؛ ولذا فالقصيدة المخطوطة في حد ذاتها لا تحمل عنواناً ظاهراً، ولا مضمُوناً من قِبل الناظم، ولا من شارحها، فالعنوانُ دوّنهُ الطهراني، هكذا:

((القصيدة التوبيخية: لماء الفرات الذي قضى الحسينa في جانبه عطشانا))[١].

نسَبُ القصيدة:

ذكر صاحب التعليقة ومترجم القصيدة الى اللغة الفارسية الميرزا أبو القاسم القميΣ(صاحب القوانين) في مقدمته نسبتها الى ناظمها: (السيد محمد الحائري) خادم الروضة الحسينية، بقوله:

((السيد الجليل الشرّيف الأمجد والمولى النبيل الغطريف المُمّجد السّند المُستند المؤيّد المُسدّد، خادم الحائر الشريف، ومُجاور المشهد المُقدس المنيف السيد محمد

أيدّهُ الله بلطفه السرّمد، وعَاملهُ بكرمه المؤبد)).

وقد أيدَّ هذه النسبة أرباب المعاجم والفهرسة في مدوناتهم القصيدة المخطوطة التي بين أيدينا، وأنها من المؤلفات المنظومة الثابته للسيد محمد الحائري، كالطهراني[٢]، والرفاعي[٣].

صاحب القصيدة:

الواضح من تشخيص اسم ناظم القصيدة وروده ناقصاً في المخطوط من مقدمة شارح ومترجم القصيدة، إذ ذكر أبو القاسم القميPبعد الإطراء الجميل عن الشاعر، بقوله: ((للسيد الجليل الشرّيف الأمجد، والمولى النبيل الغطريف المُمّجد السّند المُستند المؤيّد المُسدّد، خادم الحائر الشريف، ومُجاور المشهد المُقدس المنيف السيد محمد أيدّهُ الله بلطفه السرّمد))؛ لذا ومن خلال ما ذكره آنفاً قد أوردَ الاسم فقط دون الاشارة الى اسم والده وسلسلة النسب إلاّ ما وردَ من وضوح نسبه الشريف الى النبي محمدi.

والحقيقة وبعد مراجعة دقيقة لمعرفة هذه الشخصية إلاّ إننا ومع الأسف لم نهتدي الى تحديدها بالضبط، وهناك إشارات من بعض المؤرخين إلاّ انها لم تفي بالغرض المطلوب لاعتمادها على صاحب الذريعة، كما جاء في معجم آل طعمة، بقوله:

((السيد محمد الحائري: الخادم للحرم الشريف الحسيني. فاضل جليل، كان حياً سنة ١١٧٤هـ، له: القصيدة التوبيخية))[٤].

ومن خلال ما ذكر ناسخ القصيدة وهو الميرزا أبو القاسم القميΣمن إنتهاء تدوينه للقصيدة سنة ١١٧٤هـ، يتبين لنا ان السيد محمد الحائري كان من أُدباء وشعراء كربلاء في القرن الثاني عشر الهجري.

شارح ومترجم القصيدة:

رَغِبَ ناظم القصيدة السيد محمد الحائري بترجمة قصيدته الى اللغة الفارسية لما لها من المضامين الرائعة والتي تحتوي على (٢٤) بيتاً، فأجاب طلبه الفقيه العالم السيد أبو القاسم القميP المشهور بـ (صاحب القوانين)، فَقامَ بترجمتها كما ذكر ذلك في مقدمته، ثم لمّا رأى فيها من المعاني الجليلة عَمَدَ الى شرح أبياتها والتعليق عليها إستكمالاً للفائدة.

من هو أبو القاسم القمي؟

الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمد حسن، ويقال: ابن الحسن الجيلاني الشفتي الرشتي أصلاً، الجابلاقي مولداً ومنشأ، القمي جواراً ومدفناً، صاحب القوانين، المعروف بالميرزا القمي، والفاضل القمي، والمحقق القمي، واسمه كنيته. ولد سنة ١١٥٠هـ، وقيل: ١١٥١هـ، وقيل: ١١٥٣هـ. درس أولًا على والده مقدمات العلوم الدينية، وواصل دراسة الفقه والأصول عند حسين الخوانساري بخانسار. ثم حضر بحث محمد باقر الوحيد البهبهاني في كربلاء. وقرأ بعده على مهدي الفتوني ومحمد باقر الهزارجريربي وحسين القزويني وأجازوه. جاز عددًا من الشخصيّات وتتلمذ له كثير منهم أحمد النراقي وحسن قفطان ومحمد باقر الرشتي. عاد إلى وطنه، وحاز المرجعية العامة لطائفة الاثنا عشرية .

توفي في قم سنة ١٢٣١هـ، وقيل: ١٢٣٢هـ ودفن فيها. له تصانيف كثيرة بالعربية والفارسية، منها: القوانين المحكمة في الأصول وحواشيها، ومناهج الأحكام، وجامع الشتات، ومرشد العوالم، وديوان شعره بالفارسية والعربية يقارب خمسة آلاف بيت، وقيل إنه وجد بخطه ما يدل على أنه كتب أكثر من ألف رسالة في مسائل شتى من العلوم(٥).

وصف المخطوط:

اعتمدنا في تحقيق هذه القصيدة على نسخة مخطوطة فريدة، بخط شارحها ومترجمها الميرزا أبو القاسم القميΣ، وهي ملحق من ضمن كتابه المعروف: (مناهج الأحكام في مسائل الحلال والحرام)، وهذا ما ذكره الطهراني مع وصف ما تحتويه، بقوله: ((أولها:

نهر الفرات لا يقضى السبط ضمأنا ومن مياهك تروي الانس والجانا

نظمّها السيد محمد الحائري، الخادم للحرم الشريف الحسيني، وقد ترجم المحقق كل بيت منه ببيت فارسي، فترجمة البيت المذكور هكذا:

أي فرات ايارود سبط پيمبر از جهان - تشنه وتوسير گردانى زآبت انس وجان

وهكذا إلى آخر القصيدة، وقد شرحها أيضا ببيان اللغات المشكلة، والإشارات المبهمة

والوقايع التاريخية المجملة، بالعربية، في هامش النسخة، وكلها بخط المحقق القمي، منضما إلى صلاة كتابه (المناهج) الذي بخطه أيضا، وذكر في آخره اسمه وتاريخ فراغه من الشرح والترجمة باستدعاء ناظم القصيدة، وأطراه كثيرا، في ٢٣ شوال ١١٧٤هـ، وفي أوله خطبة بليغة أولها: [الحمد لله الذي أفصح ذكرنا بإجراء اللسان على ذكر أحبائه المخلصين... فان هذه القصيدة الغراء المضيئة... لما كانت باللغة العربية فرغب إلى أن يترجم بالفارسية...]))[٦].

والنسخة محفوظة في مكتبة آية الله العظمى السيد فخر الدين السيّدي القميP، وهي من جملة الكتب الموقوفة التي وقفها صهر المحقق القمي آية الله الميرزا السيد أبو القاسم القميΣلأولاده المُحصلّين والمجتهدين نسلاً بعد نسل في قم المقدسة.

وتحتوي النسخة على (٥) صفحات ضمن كتاب: مناهج الأحكام من (١٤٤-

١٤٩)، ومجموع أبيات القصيدة كاملةً (٢٤) بيتاً من الشعر العربي من بحر البسيط، الصفحة الاولى تحتوي على (١٣) سطراً، أما بقية الصفحات التي فيها الابيات الشعرية فتحتوي الصفحة على (١٧) بيتاً من الشعر من كلا اللغتين العربية والفارسية، ومتوسط الكلمات في السطر الواحد (١١-١٢) كلمة، أما قياس الصفحة فهو (١٥- ٢٠) سم، وكُتبت بخطٍ واضح، إذ جاءت أبيات القصيدة العربية بخط (نسخ فارسي)، أما أبيات الترجمة فقد جاءت بخط (الشكسته) أي الخط المكسور، أما الشرح والتعليق فقد جاء نستعليق تحريرياً عاماً دونما نقص أو حذف في الجميع.

وقد ختمَ شارح القصيدة بعد ترجمته للقصيدة بأكملها أبياتاً من الشعر تَيمُّناً بما أنجزه، وطالباً من الله تعالى رجاء الثواب والأمان. وهذه الأبيات وردت من بحر الرجز، وهي:

ربّنا اللّهُمّ عَذّب قّاتليه بالجحيمِ ضَاعِف اللّعنَ عَليهُم ضِعفَ ساعات

فَرّح الباكي عليهم يوم طغيان الألم أو مَن وَالآهُ بالإخلاصِ أوسَاط الجنان

سِيَّما العَبدِ الضعيفِ ذي الأماني قاسم شَعثَهُ اللّهُمّ فَالهُم خَوفَهُ أبدَلِ الأمان

عملنا في التحقيق:

الغايةُ من تحقيق المخطوط هو إظهارها بالمظهر اللائق الذي يُناسبها وبعرض مادتها العلمية والأدبية للقارىء الكريم؛ لذلك يمكن أن نُدرج ما قمنا به من عملٍ في التحقيق بالنقاط التالية:

١- تمّت المقابلة والمراجعة بالاعتماد على النسخة الأصلية والتي جاءت بخط الشارح والمترجم الميرزا أبو القاسم القميΣ.

٢- ثُبتَّ عنوان المخطوط باسم ((القصيدة التوبيخية))، كما أشارَ إلى ذلك صاحب الذريعة.

٣- تدوين الكلمات التي سقطت سهواً والصحيحة في النص ووضعها بين

الأقواس المعقوفة.

٤- وردت أخطاء في حركات الحروف، عملنا على تعديلها بإضافة الصحيح.

٥- ترجمة عدد من الشخصيات والأعلام التي وردت في الديوان.

٦- إدراج معاني كلمات بعضٍ من أبيات القصائد.

٧- وضع فهارس لمصادر التحقيق والاعلام المترجمين ليتسنى للقارئ الكريم الاطلاع والرجوع إليها.

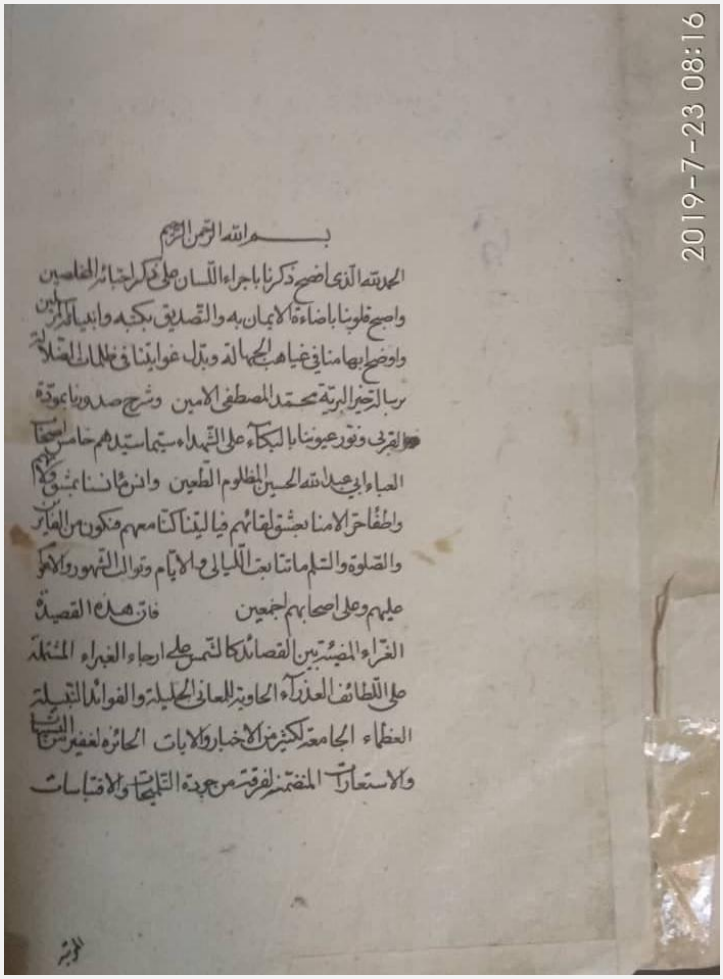

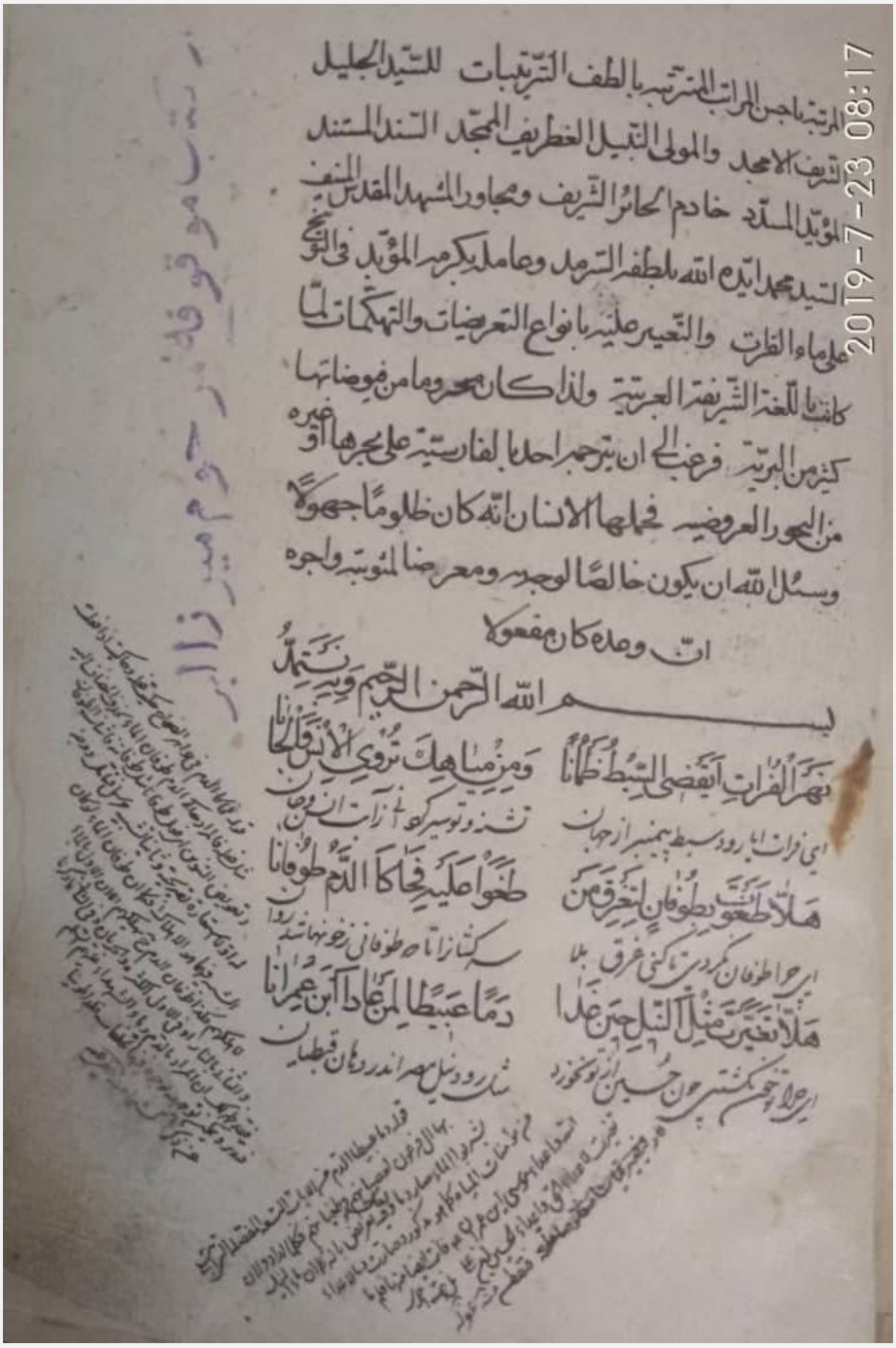

المرتبة من المراتب المترتبة بالطف الترتيبات للسيد الجليل
الشريف الامجد والمولى النبيل الظريف المجد السند المستند
المؤيد المسدد خادم الحائر الشريف ومجاور المشهد المقدس المنيف
السيد محمد ايده الله بلطفه السرمد وعامله بكرمه المؤبد في التوجه
على ماء الفرات والتعبير عليه بانواع التعرضات والتهكمات لما
كان باللغة الشريفة العربية ولذا كان بحر ومما من فوضاتها
كثير من البرية فرغب الى ان يترجم احدا بالفارسية على بحرها او غيره
من البحور العروضية فحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا
وسئل الله ان يكون خالصا لوجهه ومعرضا لمثوبته ولجوه
انه وعده كان مفعولا

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

نهر الفرات ايقضى السبط ظمآنا ... ومن مياهك تروى الانس والجانا
اى فرات اباررود سبط پيمبر از جهان ... تشنه وتوسيركه ازآب ان دوجهان
هلا طغوت بطوفان لتغرق من ... طغوا عليه فحاكا للهم طوفانا
اى جوا طوفان كمردى تاكنى غرق بلا ... سركشانرا تا طوفانى زخونها شد روان
هلا تغيرت مثل الليل حين غدا ... دما عبيطا لمن عاد ابن عمرانا
اى علا چون كمتر ازحون حسين ازتو نخورد ... شد روان نيل مصر اندر دمان قبطيان

قد رد ما عبيطا الدم من ابن النبي المقتدى الترتيب
بالآل فرعون لعصيانهم طغيانهم كالعاد وثمود
نشروا الالا وصاروا بالقرى اثرا ... فهل ترى لهم من باقية
فغرقهم الله في الدنيا الخبيث ... وهو بغيرهم فان سيغرقهم

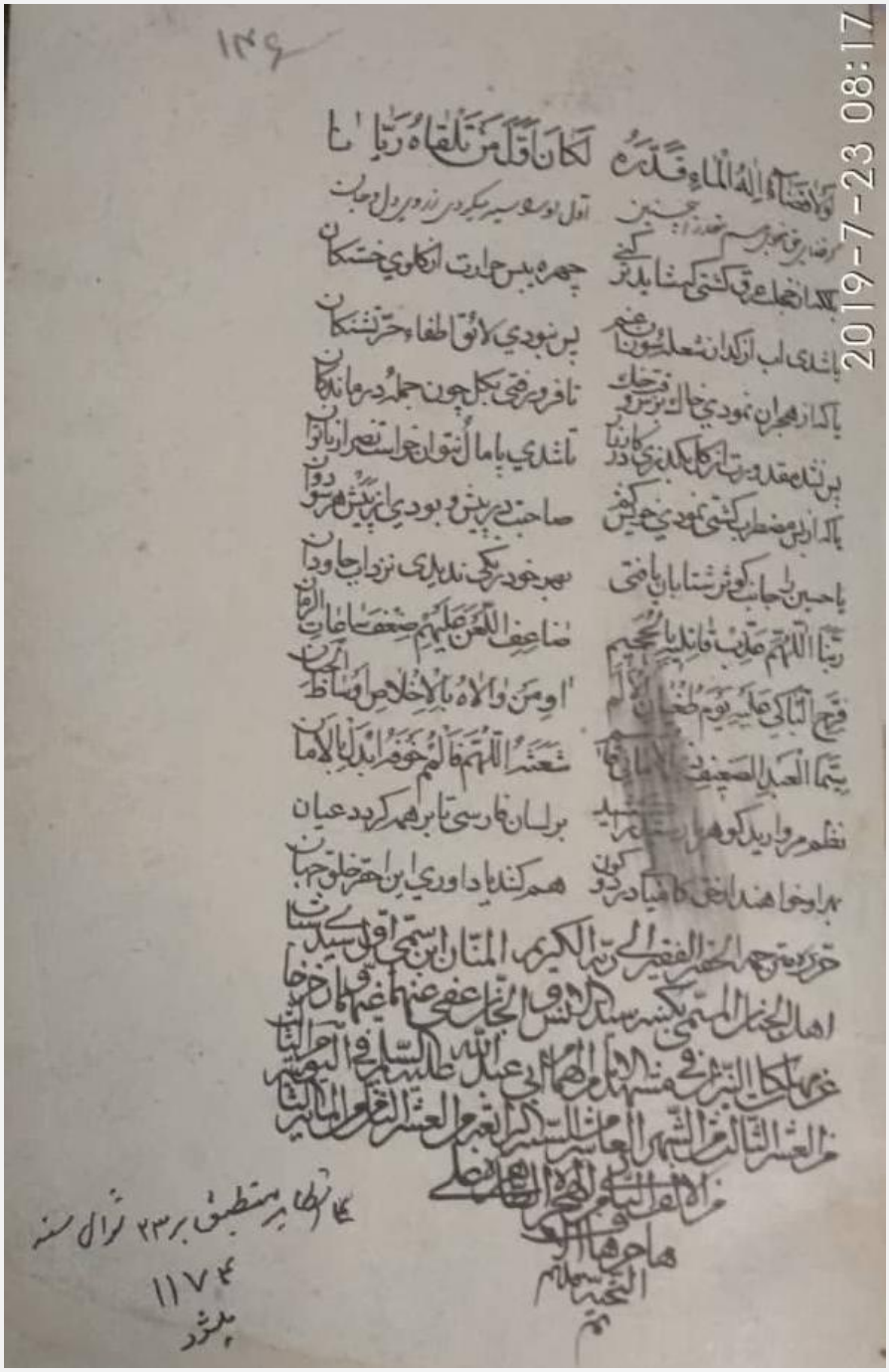

النص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أفصحَ ذكرنا بإجراء اللسان على ذكر أحبّائه المخلصين، وأصبح قلوبنا بإضاءة الإيمان به والتّصديق بكُتبهِ وأنبيائه المرسلين، وأوضحَ إبهامنا[٧] في غياهب[٨] الجهالة، وبدّلَ غوايتنا[٩] في ظلمات الضّلالة برسالة خير البريّة محمد المصطفى الأمين، وشرحَ صدورنا بمودّة القربى، ونوّرَ عيوننا بالبكاء على الشهداء سيّما سيّدهم خامس أصحاب العباء أبي عبد الله الحسين المظلوم الطّعين، وأنسَ مأنسنا بَمَشقٍ[١٠] ولائهم، وأطفأ حرّ آلآمنا بعشق لقائهم، فياليتنا كُنّا معهم فنكون من الفائزين والصلاة والسلام ما تتابعت الليالي والأيّام وتوالت الشهور والأعوام عليهم وعلى أصحابهم أجمعين.

فإنَّ هذه القصيدة الغرّاء المُضيئةُ بين القصائد كالشمس على أرجاء الغبراء، المُشتملة على اللطائف العذراء، الحاويةُ للمعاني الجليلة، والفوائد النبّيلة العظماء، الجامعةُ لكثيرٍ من الأخبار والآيات الحائزة لغفير من التشبيهات والاستعارات، المُتضمّنه لفرقةٍ من جَودة التلميحات والاقتباسات، المُرتَبه بأحسن المراتب المُترّتبه بألطف الترّتيبات، للسيد الجليل الشرّيف الأمجد والمولى النبيل الغطريف[١١] المُمّجد السّند المُستند المؤيّد المُسدّد، خادم الحائر الشريف، ومُجاور المشهد المُقدس المنيف السيد محمد أيدّهُ الله بلطفه السرّمد، وعَاملهُ بكرمه المؤبد، في التوبيخ على ماء الفرات، والتعبير عليه بأنواع التعريضات والتهكّمات، لمّا كانت باللغة الشريفة العربية؛ ولذا كان محروماً من فيوضاتها كثير من البريّة، فرَغِبَ إلى أن يُترجمهُ أحد بالفارسية على بحرها أو غيره من البحور العَروضية فـ **[حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا]**[١٢] وسَألَ الله أن يكون خالصاً لوجههِ، ومُعرضاً لمثوبته وأجره، إنَّ وعده كان مفعولا.

بسم الله الرحمن الرحيم، [وبهِ][١٣] نَستَمِدُّ:

نَهرُ الفُراتِ أَيقضي السّبطُ ضَمأناً ... وَمِن مياهِكَ [تُروى][١٤] الأنس وَالجانا

هَلاّ طَغَوتَ بطُوفانٍ لِتُغرِقَ مَن ... طَغَوا عليهِ فَحاكَا الدَّمُ طُوفانا

هَلاّ تَغيّرتَ مِثلَ النّيلِ حينَ غَدا ... دَماً عبيطاً لِمن عادا اِبنَ عِمرانا

هَلاّ جَفَفتَ بِعاشوراءَ عن حَنَقٍ[١٥] ... كَبَحرِ نَيّ الذي مِن حَولِ كُوفاناً

هَلاّ تَحَوّلتَ مِثلَ البَحرِ حينَ يُرى ... للمُشركينَ غَداةَ الحشرِ نيراناً

هَـلاّ نَكَصـتَ بِغَـيظٍ عـن مُعَسـكَرِهم ... لِلغَـربِ حتـى نُلاقـي مِنـكَ بُرهانـاً

هَلاّ استَحلتَ وقد جاءوكَ كي يَردوا ... مِلحـاَ أُجاجـاَ[١٦] لِتَلقـي اللهَ جَـذلاناَ

لآنَ الحديـدُ لِـداوُدَ النّبـيِ ولِلسّـ ... بـطِ ابـنَ زَمـزَمَ مِنـكَ القلـبُ مالانـا

وَالبَحـرُ دانَ لِمُوسَـى حـينَ شـاهَدَهُ ... يَبغـي العُبُـورَ وَمِنـكَ الطّبـعُ مادانـا

وَالصَّـلدُ مِـن ضَـرب موسـى بالعصـا ... منـهُ العُيُـوُن فمـا سـاجَلتَ صَـفواناً

مَن جَدُّهُ الجَيشُ تُروى من أنامِلِهِ[١٧] إنفَجَرت ... بِشـاطِيء مِنـكَ يَحسُـو الضّـيَم ألوانـاً

بـالأمسِ كُنـتَ مُطيعـاً أمـرَ والـدِهِ ... لإهَـلِ كُوفـانَ كَيـفَ اختـرتَ عِصـيانا

اَمـا تُصَـدّقُ أَنَ المـاءَ أجَمَعَـهُ ... صَداقَ أُمّ الحُسينِ القُدِس قد كانا[١٨]

رَبُّ الشَـريعةِ مَمنُـوعُ الـورُوُدِ ومِـن ... مـاءِ الشَّـريعةِ تَـروي بنـتَ وِردانـا[١٩]

تكـونُ مُـؤمِنَ أنهـارِ الـبلادِ وقـد ... قارَفـتَ جُـرمَ الّـذَي لـم يَحـوِ إيمانـاً

أيـنَ المُـرُّؤةُ يـا مـاءَ الفُـراتِ وقـد ... غَـدَوتَ تَسـقي مَريئـاً آلَ مَروانـاً

تَسـقيهِمُ قَـدَحاً عَـذبَ الْمـذَاقِ وهـم ... يَسقُونَهُ مِـن زِعـاقِ[٢٠] الحتـفِ قِدحاناً

سَـقَيتَ شـوكاً وَحِثجاثـاً وَحَنظَلَـةً ... وَمـا سَـقَيتَ لِطـةَ الطُهـرِ ريَحانـاَ

أَمـا خَجِلتَ مِـن الهـادي الرّسُـولِ وقَـد ... رَأهُ فـي الحـربِ وقـتَ الحـرَّ حرَّانـاً

أمـا خَشـيتَ مِـنَ الصّـنوِ الـذي بغـدٍ ... يسقي مِن الحوض مَن بـالآلِ مـا خانـا

أمـا اسـتَحَيتَ مِـن الزهـراء تَنظُـرُهُ ... "والمـاءُ يَلمَـعُ كالحَيّـاتِ عَطشـانَا"[٢١]

لَـولا النُّعُـوتُ التـي زَكّتـكَ شُـهرَتُّها ... لَقُلـتُ إنَّـكَ تَهـوى آلَ سُـفيانا

لكِـن عُيُونُـكَ لـم تُبصُـرهُ إذ سَـفَلَت[٢٢] ... لَـو أبصَـرَتُهُ لَمـا كـانَ الّـذي كانـا

لَـولا قَضَـاءٌ إلـهُ المـاءِ قَـدّرَهُ ... لَكـانَ أَوَلَ مَـن تَلقَـاهُ رَيّانـا

حرّرهُ مُترجمَهُ[٢٣] الحقير الفقير إلى ربّه الكريم المنّان، ابن سمّي أوّل سيديّ شُبّان أهل الجنان، المُسمّى بكُنه سيد الانس والجان عفى عنهما غيّهما، وزحزحا عن مُهلكات النّيران في مشهد الامام الهُمام أبي عبد اللهa ، في اليوم الثالث من العشر الثالث من الشهر العاشر من السنة الرابعة من العشر الثامن من المائة الثانية من الألف الثاني من الهجرة الطاهرة[٢٤] على هاجرها الالف التحيّة قد تمّ.

[تعليقة أبو القاسم القميΣ صاحب القوانين على القصيدة التوبيخية]

قوله: فحاكا الدم: في جواب الصحاح، حكيت قوله: حاكيته، إذا فعلت مثل فعله[٢٥]. فالمراد: حاكى الدم طوفان الماء لحذف المضاف إليه وتعويض التنوين، أي فعلَ طوفاناً مثلَ طوفانه فإثبات الطوفان له الاستعارة تصريحية. وثانياً: تشبيه مُرسل، فتأمّل، ووجه الشبه فيهما هو الاهلاك، فكما أنَّ طوفان الماء لو كان لا يهلكهم، فكذا طوفان الدم حينئذٍ مهليكهم، إلاّ ان الأول بالماء، والثاني بالنار، أو في الأول: الكثرة والجريان، وفي الثاني: ما ذكرنا، فقد ظهر لك ان المراد بالدم دماء الشهداء d، فتدّبر.

قوله: دماً عبيطاً: الدم في الآيات التسعة المفصّلة التي أُشيعَ بها آل فرعون لعصيانهم وطغيانهم، فكلما لجأوا لأن يشربوا الماء صار وباء، لعلَّ فيه تعريض بأنه كما ان ماء النيل من مؤمنات المياه كما هو مذكور وصارت دماً لأعداء الله وأعداء موسى ابن عمرانa ، فأنت أيضاً منه، فَلِمَ ما تغيرت لاعداء الحق وأعداء الحسين بن عليa .

قوله: كبحر نيّ: هو الذي الآن في جنب المشهد الغروي على مشرفه أفضل التسليمات، ووجه تسميته بالنجف هو المشهور؛ لأنَّ ذلك البحر كان مُسمى (نيّ) فجفَّ وغارَ ماءه، فقيل: (ني جفّ)، فسُميّ البلدة الطيبة تسمية المجاور باسم مجاوره، أو يقال عنه فيكون منقولاً بكثرة الاستعمال (نجف)[٢٦]، وفي كليهما تأمل.

[قوله: هلّا نكصتَ][٢٧]: جواهر الصحاح: النكوص: الإحجام عن الشيء. ويقال: نكصَ على عقبيه ينكص وينكص، أي رجع[٢٨]. وذلك لأنّ مخيم الامام الشهيدa كان في جانب الغرب، ونهر العلقمي مع معسكر الأعداء كان في جانب المشرق مستدبراً بالشهيد العطشان، ففيه استعارة تبعيّة.

وقوله: حتى نُلاقي منك بُرهانا: لعلّهُ من قبل التجريد وبيانه يعلم من الترجمة فتدّبر منه عفى عنه.

قوله: لتلقى الله جذلانا: في جواهر الصحاح: الجذل بالتحريك: الفرح. وقد جذل بالكسر يجذل فهو جذلان[٢٩].

والمراد هنا: مُجرّد التواضع والتسليم والإطاعة. والبحر هنا ما غارة الماء وتحفظه، بخلاف ماء الفرات فإنّ طاعته إيصال الماء بالسبطa ، ولعلَّ أن يكون المراد ان البحر جفَّ لعبور موسىa لئلا يضيق عليه، وأنت ما رضيت بعبور الحسينa عليك فضلاً في أن يجف بك، كأنك ما خشيت أن هلك

حرصه شربةً شربها a .

قوله: الصلد: في جواهر الصحاح، حجرٌ صلد: أي صلب أملس[٣٠]. مُضمّناً هذا البيت نصيّن من الآية الشريفة في سورة البقرة: **[وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ]**[٣١]، أو تلميح في تلك القصة وإدّعاء لتقصير ماء الفرات في حق المظلوم بالبينة والبرهان.

وتقريره: أنّ الحجر الصلب الذي أخفى عناصره الماء غرقاً قد اشق بشقوق الاطاعة والخضوع، وانفجرت منه أحد عشره عيناً، وكان موسىa قد استسقى لقومه المعلوم، وأنت يا ماء الفرات مع ان أظهر عناصرك الماء، بل أنت ماء، وقد استسقى سبط النبي المرسل عليه السلام لنفسه الشريفة وأولاده الطيبة الطاهرة، فما انفجرت منك لا خير فيه، ولكَ عينٌ حين غلبَ عليك الصفوان في مقام المساجلة والمفاخرة التي جرت منه فلا مجال لك للانكار، وهذا وأمثاله في هذه القصيدة من قبيل حُسن التعليل فتأمّل منه، عفى عنه.

قوله: تسقيهم قدحاً: تفصيل للإجمال المفهومي والمنطوقي في البيت السابق لكن بيان الاحتمالين تماماً يتم أيضاً بمفهوم المصرحين ومنطوقهما معاً مع زيادة قليلة جداً، وفي البيت أيضاً رد العجز على الصدر منه، عفى عنه.

قوله: تسقيهم قدحاً: تفصيلٌ للإجمال المفهومي والمنطوقي في البيت السابق، لكن بيان الاحتمالين تماماً يتم أيضاً بمفهوم المصرحين ومنطوقهما معاً مع زيادة فيها جداً، وفي البيت أيضاً رد العجز على الصدر منه، عفى عنه.

قوله: جثجاثاً: الجثجاث، في جواهر الصحاح، قال: هو نبتٌ، وهو من أحرار الشجر[٣٢]. ولعلَّ ان يكون المراد من الشوك والجثجاث والحنظلة من أُميّة فيكون استعارة تصريحية مُرّشحة أو مجرّدة أو كليهما ويحتمل الخصم، وفيه رد العجز على الصدّر فتدبر منه، عفى عنه.

[قوله: وقت الحر حرّانا][٣٣]: في جواهر الصحاح: الحران: العطشان[٣٤]. وفي الكلام باس ناقص منه مبتور.

قوله في الصّنو: في جواهر الصحاح: إذا خرج نخلتان أو ثلاث من أصل واحد فكل واحد منهن صنو[٣٥]. والمراد به هنا مولانا عليٌa ، فهو استعارة مُصرّحة مُجرّدة في العلاقة كونه مع رسول اللهi من أصلٍ واحد، ونور مُتّحد، بل هو نفسه دليل أنفسنا، فيكون المنظور في الظاهر منهما، واللام بِعِوَض المضاف إليه، أي: صّنو الرّسول أو للعهد؛ لكونه مُشاراً إليه في جميع الاحيان بالبنان، ولظهوره في البصائر والابصار نهاية العيان، والمراد من التهديد في البيت من حيث المفهوم والبيان يُطلب من الترجمة فتأمّل منه عفى عنه.

قوله: والماء: حاله في المسكنة.

قوله: كالحيّات: حاله في المسكنة يلمع، ووجه الشبه طاهر؛ لكمال نوع الحيّة سيّما بطنه.

قوله عطشانا: في البارز في تنظره فتدبّر منه قوله.

قوله: لكن عيونك لم تُبصرهُ: أن يكون لفظ العيون إيهاماً، والمراد بها العيون الجارية، وليس كان ثيابهما له مجازاً، وبهذا يظهر الفرق بين كونه تخيّلاً، وهو على مذهب غير السكاكي[٣٦]، فحينئذ لم تبصره استعارة تبعيّه.

وإذ سفلت: تجريد لها وقرنيتهما الفاعل، فتأمّل، ولا يخفى في البيت من حُسن التعليل وردَ العجز على الصدر منه، عفى عنه.

هوامش التحقيق

(١) الطهراني، أغابزرك(ت١٣٩٠هـ)، الذريعة الى تصانيف الشيعة، (ط٢، دار الأضواء، بيروت)، ج١٧، ص١١١.
(٢) المصدر نفسه، ج١٧، ص١١٢.
(٣) الرفاعي، عبد الجبار، معجم ما كُتب عن الرسول وأهل البيت، (ط ١، طهران)، م٧، ص٤٣٩.
(٤) الذريعة، ج١٧، ص١١١ - ١١٢.
(٥) آل طعمة، سلمان، معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، (ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت ١٩٩٩م)، ص١٩٢.
(٦) ينظر: القمي، عباس(ت١٣٥٩هـ)، الكنى والألقاب، (مكتبة الصدر، طهران)، ج١، ص١٤٢ ؛ الأمين، محسن(ت١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت)،ج٢، ص٤١١.
(٧) الإبهام: قِلّة وُضوح، كَوْنُ الشَّيء غير مَفْهوم. وإبْهامُ الأَمر: أَن يَشْتَبه فلا يعرَف وجهُه، وقد أَبْهَمه. ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم(ت٧١١هـ)، لسان العرب، (د. مط، قم، ١٤٠٥هـ)،ج١٢، ص٥٧، مادة: (بهم).
(٨) الغَيْهَبُ: شِدَّةُ سَوادِ الليل. وقد اغْتَهَبَ الرجلُ: سار في الظُّلم.
المصدر نفسه، ج١، ص٦٥٢، مادة: (غهب).
(٩) الغَيُّ: بالفتح، الضَّلالُ والخَيْبَة. ورجلٌ غاوٍ وغَوٍ وغَوِيٌّ وغَيَّان: ضالٌّ.
المصدر نفسه، ج١٥، ص١٤٠، مادة: (غوي).
(١٠) مَشَقَ الشيء: جذبهُ ليمتدَّ.
المصدر نفسه، ج١٠، ص٣٤٤، مادة: (مشق).
والقصد هنا: أن يجذب الله تعالى لنا ولاء آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم لنستأنس به.
(١١) الغِطريف: السيّد، وجمعه الغَطاريف، وقيل: الغِطْريف الفتى الجميل، وقيل: هو السخِيّ السَّريُّ الشابُّ.
المصدر نفسه، ج٩، ص٢٧٠، مادة: (غطف).
(١٢) الأحزاب، ٧٢.
(١٣) كذا في الأصل، والصحيح: (ومنه)، لما يتطلبه سياق الجملة.
(١٤) كذا في الأصل، والصحيح: (تَروي).
(١٥) الحَنَقُ: شدّة الاغْتياظِ. والجمع حناق كجبل وجبال.
ينظر: الطريحي، فخر الدين(ت١٠٨٥هـ)، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، (ط ٢، جابخانه طروات، طهران، د.ت)، ج١٠، ص٦٩، مادة: (حنق).
(١٦) الأجاج: المالح المُر الشديد الملوحة، يقال: أج الماء يؤج أجوجا إذا ملح واشتدت ملوحته.
المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧٣، مادة: (اجج).
(١٧) إشارة الى القصة المشهورة من إرواء النبي محمدj لجيش الاسلام في تبوك؛ ففي حديث حذيفة قال: ((بلغ رسول اللهj أن في الماء قلة، فأمر منادياً ينادي في الناس: أن لا يسبقني إلى الماء أحد. قال: فجئناها وقد سبق إليها رجلان، والعين مثل الشراك تبض بشيء من مائها، فسألهما رسول اللهj: هل مسستما من مائها شيئاً، قالا: نعم. ثم غرفوا من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شن، ثم غسل رسول اللهj فيه وجهه ويديه، ومضمض، ثم أعاده فيها، فجرت العين بماء كثير)).
(١٨) جاء في بعض الروايات أنّ الماء أو ماء الفرات جُعل مهراً للزهراءa كما وردَ في حديث طويل عن الامام الباقرa حول مهرها أنه قال: " وجُعلت لها في الأرض أربعة أنهار: الفرات، ونيل مصر، ونهروان، ونهر بلخ ".

ينظر: ابن شهر آشوب، محمد(ت٥٨٨هـ) مناقب آل ابي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة الحوزة العلمية في النجف الاشرف(الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٧٥هـ)، ج٣، ص١٢٨.
وفي آخر: " وجُعلت نحلتها من علي خُمس الدنيا وثلثي الجنة وأربعة أنهار في الأرض، الفرات ودجلة النيل ونهر بلخ " .
ينظر: الخصيبي، الحسين(ت٣٥٨هـ)، الهداية الكبرى،(مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤١٩هـ)، ص٣٧٨.

(١٩) بنت وردان: دابة صغيرة كالخنفساء حمراء اللون إجمالاً، كريهة الرائحة، كثيراً ما تكون في الحمامات والأماكن القذرة.
ينظر: الدميري، كمال الدين(ت٨٠٨هـ)، حياة الحيوان الكبرى، (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٤٢هـ)، ج٢، ص٥٥٢.

(٢٠) ماء زُعاقٌ: مُرٌّ غليظ لا يُطاق شربُه من أُجُوجَتِه، الواحد والجمع فيه سواء.
لسان العرب، ج١٠، ص١٤١، مادة: (زعق).

(٢١) أي تقريره: تنظرهُ عطشاناً والماء يلمعُ كالحيّات.

(٢٢) السفل: نقيض العلو. وقوله عزّ وجل: " ثم رَدَدْناه أَسْفَلَ سافِلِين" ؛ قيل: معناه إلى الهَرَم. وسافلة النهر وغيره: نقيض عاليته.
مجمع البحرين، ج٥، ص٣٦٩، مادة: (سفل).
والمراد هنا: مجازاً عيون النهر الهَرمه الذابلة التي لم تشاهد الاحداث الجارية يوم طف عاشوراء.

(٢٣) إشارة الى صاحب مترجم القصيدة الى اللغة الفارسية: أبو القاسم القميΣ.

(٢٤) يتطابق في ٢٣ شوال سنة ١١٧٤هـ.

(٢٥) الجوهري، اسماعيل(ت٣٩٣هـ)، الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، دار العلم للملايين، بيروت١٩٨٧م)،ج٦، ص٢٣١٧، مادة: (حكى).

(٢٦) ينظر: الصدوق، أبي جعفر(ت٣٨١ه)، علل الشرائع، (الحيدرية، النجف الاشرف ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م)، ج١، ص٣١ ؛ ابن طاووس، عبد الكريم(ت٦٩٣هـ)، فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنينa ، تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي، (ط١، قم ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م)، ص١٠.

(٢٧) ما بين الأقواس المعكوفة ما يتطلبه سياق النص.

(٢٨) الصحاح، ج٣، ص١٠٦٠، مادة: (نكص).

(٢٩) المصدر نفسه، ج٤، ص١٦٥٤، مادة: (جذل).

(٣٠) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٩٨، مادة: (صلد).

(٣١) البقرة، ٦٠.

(٣٢) الصحاج، ج١، ص٢٧٧، مادة: (جثث).

(٣٣) ما بين الأقواس المعكوفة ما يتطلبه سياق النص.

(٣٤) الصحاح، ج٢، ص٦٢٧، مادة: (حرر).

(٣٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٤٠٤، مادة: (صنا).

(٣٦) هو سراج الدين أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السَّكاكي الخوارزمي الحنفي، عالمٌ بالعربية والأدب، ولد سنة ٥٥٥هـ في خوارزم، وتوفي سنة ٦٢٦هـ، من تصانيفه: مفتاح العلوم، والتبيان، ورسالة في علم المناظرة، وغيرها
ينظر: الزركلي، خير الدين(ت١٤١٠هـ)، الاعلام، (ط٥ دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٠هـ)، ج٨، ص٢٢٢.

مصادر التحقيق

- خيرُ ما نبتدئُ بهِ القرآن الكريم.

- ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني، (ت٥٨٨هـ/١١٩٢م).

١- مناقب آل ابي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة الحوزة العلمية في النجف الاشرف(الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م).

- ابن طاووس، عبد الكريم بن أحمد العلوي الحسني، (ت٦٩٣هـ/١٢٩٤م).

٢- فرحة الغري في تعيين قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالبa في النجف الاشرف، تحقيق: السيد تحسين آل شبيب الموسوي، (ط١، قم ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م).

- ابن منظور، محمد بن مكرم،(ت٧١١هـ/١٣١٢م).

٣- لسان العرب، (د. مط، قم، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م).

- آل طعمة، سلمان هادي، معاصر.

٤- معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء، (ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت ١٩٩٩م).

- الأمين، محسن العاملي،(ت١٣٧١هـ/١٩٥١م).

٥- أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت).

- الجوهري، اسماعيل بن حماد،(ت٣٩٣هـ/١٠٠٢م).

٦- الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (ط٤، دار العلم للملايين، بيروت١٩٨٧م).

- الخصيبي، الحسين بن حمدان(ت٣٥٨هـ/ ٩٦٨م).

٧- الهداية الكبرى، (مؤسسة البلاغ، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م).

- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى(ت٨٠٨هـ/١٤٠٥م).

٨- حياة الحيوان الكبرى، (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٤٢هـ)

- الرفاعي، عبد الجبار، معاصر.

٩- معجم ماكُتب عن الرسول وأهل البيت، (ط ١، طهران).

- الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي(ت٣٨١هـ/٩٩١م).

١٠- علل الشرائع، (الحيدرية، النجف الاشرف ١٣٨٥هـ- ١٩٦٦م).

- الطهراني، أغابزرك محمد محسن بن علي،(ت١٣٨٩هـ/١٢٩٣م).

١١- الذريعة الى تصانيف الشيعة، (ط٢، دار الأضواء، بيروت).

- الطريحي، فخر الدين(ت١٠٨٥هـ/١٦٧٤م).

١٢- مجمع البحرين، تحقيق: احمد الحسيني، (ط ٢، جابخانه طروات، طهران، د. ت).

- القمي، عباس بن محمد رضا،(ت١٣٥٩هـ/١٩٤٠م).

١٣- الكنى والألقاب، (د. مط، طهران، د. ت).